

يَأْتِيَا أَنْتَسُ الطَّمَنَةَ ﴿٣٧﴾.

﴿يا أيها النفس﴾ على إرادة القول أي: يقول الله للمؤمن يا أيها النفس. إِمَّا أَنْ يَكَلِمَهُ إِكْرَامًا لَهُ كَمَا كَلَّمَ مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ مَلِكٍ وَ﴿المطمئنة﴾ الأمانة التي لا يستفزها خسوف ولا حزن وهي النفس المؤمنة أو المطمئنة إلى الحق التي سكنها تلج اليقين فلا يخالجها شك، ويشهد للتفسير الأول قراءة أبي بن كعب: يا أيها النفس الأمانة المطمئنة.

فَإِنْ قُلْتُمْ: متى يقال لها ذلك؟ قُلْتُمْ: إِمَّا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَإِمَّا عِنْدَ الْبَعْثِ، وَإِمَّا عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ.

أَرْجِيكَ إِنَّ رَبِّكَ رَاضِيَةٌ مُرِيَّةٌ ﴿٣٨﴾.

على معنى ﴿ارجعي﴾ إلى موعد ربك ﴿راضية﴾ بما أوتيت ﴿مرضية﴾ عند الله.

فَأَدْخُلْ فِي عِبَادِي ﴿٣٩﴾.

﴿فانخلي في عبادي﴾ في جملة عبادي الصالحين، وانتظمي في سلكهم.

وَأَدْخُلْ جَنِّي ﴿٤٠﴾.

﴿وانخلي جنتي﴾ معهم. وقيل: النفس الروح، ومعناه: فانخلي في أجساد عبادي. وقرأ ابن عباس: فانخلي في عبادي، وقرأ ابن مسعود: في جسد عبادي، وقرأ أبي: اثنتي ربك راضية مرضية، انخلي في عبادي، وقيل: نزلت في حمزة بن عبد المطلب. وقيل: في خبيب بن عدي الذي صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه إلى المدينة. فقال: اللهم إن كان لي عندك خير فحوّل وجهي نحو قبلك، فحوّل الله وجهه نحوها، فلم يستطع أحد أن يحوله، والظاهر العموم عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الفجر في الليالي العشر غفر له، ومن قرأها في سائر الأيام كانت له نوراً يوم القيامة»<sup>(4)</sup>.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة البلد مكة

لَا أَسْمِعُ بِهِذَا أَلْبَلًا ﴿١﴾.

أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الإنسان خلق مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد. واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله:

وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا أَلْبَلًا ﴿٢﴾.

فَإِنْ قُلْتُمْ: ما معنى إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة؟ قُلْتُمْ: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثل حاله في ذلك بحال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم.

رَجَاءَ رَبِّكَ وَالنَّلَكُ صَمًّا صَمًّا ﴿٣٧﴾.

﴿صفا صفا﴾ ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والإنس.

رَجَاءَ يَوْمٍ يُؤَيِّمُ بِيَوْمِهِ يَوْمَهُ يَنْدَكُرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّ لَهُ الْذِكْرَى ﴿٣٨﴾.

﴿وجيء يومئذ بجهنم﴾ كقوله: ﴿برزت الجحيم﴾<sup>(1)</sup> وروي أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله ﷺ، وعرف في وجهه، حتى اشتد على أصحابه. فأخبروا علياً رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبلة بين عاتقيه، ثم قال: يا نبّي الله - بأبي أنت وأمي - ما الذي حدث اليوم؟ وما الذي غيرك؟ فتلا عليه الآية. فقال علي له: كيف يجاء بها، قال: يجيء بها سبعون ألف ملك يقوبونها بسبعين ألف زمام فتشرد شرده لو تركت لأحرقت أهل الجمع<sup>(2)</sup>. أي: يتنكر ما فرط فيه أو يتعظ. ﴿وانى له النكرى﴾ ومن أين له منفعة النكرى، لا بد من تقدير حنف المضاف. وإلا فبين: يوم يتنكر وبين: وانى له النكرى تنافٍ وتناقض.

يَوْمَ يَلَيْتِي قَدَّمْتُ لِيَالِي ﴿٣٩﴾.

﴿قدمت لحياتي﴾ هذه وهي حياة الآخرة، أو وقت حياتي في الدنيا. كقولك: جئتني عشر ليالٍ خلون من رجب، وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان في أيديهم ومعلقاً بقصدهم وإرادتهم وأنهم لم يكونوا مجبورين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمنهذب أهل الأهواء والبدع وإلا فما معنى التحسر.

فِيَوْمِهِ لَا يَمْدُ عَذَابُهُ أُمَّدًا ﴿٤٠﴾ وَلَا يُؤْتَى وَكَأَنَّهُ أُمَّدًا ﴿٤١﴾.

قرئ: بالفتح يعذب ويؤتق، وهي قراءة رسول الله ﷺ. وعن أبي عمرو: أنه رجع إليها في آخر عمره. والضمير للإنسان الموصوف. وقيل: هو أبي بن خلف. أي: لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل وثاقه لتناهيه في كفره وعناده، أو لا يحمل عذاب الإنسان أحد كقوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾<sup>(3)</sup> وقرئ: بالكسر، والضمير لله تعالى أي: لا يتولى عذاب الله أحد لأن الأمر لله وحده في ذلك اليوم، أو للإنسان أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه.

(3) سورة النجم، الآية: 38.

(1) سورة النازعات، الآية: 36.

(4) نكده الواحدي والثعلبي وابن مروييه والثعلبي في تفاسيرهم، الزيلعي /4

(2) نكده الواحدي والثعلبي وابن مروييه في تفاسيرهم، الزيلعي /4

والكبد: أصله من قولك: كبد الرجل كبدًا فهو أكبد إذا وجعت كبده وانتفخت، فانتسع فيه حتى استعمل في كل تعب ومشقة. ومنه اشتقت المكابدة كما قيل: كبت، بمعنى: أهلكه. وأصله كبده إذا أصاب كبده. قال لبيد:

يا عينين هلا بكيت أربد إذ - قمنا وقام الخصوم في كبد  
أي: في شدة الأمر وصعوبة الخطب.

أَجَسُّ أَنْ أَنْ يَفِرَّ عَلَيْهِ أَحَدٌ ⑤

والضمير في **«أجسب»** لبعض صنابير قريش الذي كان رسول الله ﷺ يكابد منهم ما يكابد، والمعنى: أظن هذا الصنيد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه.

يَقُولُ أَهْلَكَ مَا لَا لَبًا ⑥

ثم نكر ما يقوله في نك اليوم وأنه يقول: **«أهلك ما لا لبًا»** يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر.

أَجَسُّ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ⑦

**«أجسب أن لم يره لحد»** حين كان ينفق ما ينفق رثاء الناس وافتخارًا بينهم، يعني: أن الله كان يراه وكان عليه رقيبًا، ويجوز أن يكون الضمير للإنسان على أن يكون المعنى: أقسم بهذا البلد الشريف، ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المأثم متحرج بريء، فهو حقيق يأن أعظمه بقسمي به. لقد خلقنا الإنسان في كبد أي: في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن. يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات. وقيل: الذي يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الأشد وكان قويًا بسيط له الأنيم العكاظي فيقوم عليه ويقول: من أنزني عنه فله كذا، فلا ينزع إلا قطعًا ويبقى موضع قديمه. وقيل: الوليد بن المغيرة. لبداً: قرى بالضم والكسر، جمع لبدة، ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة. وقرى: لبداً بضمين، جمع لبود، ولبداً بالتشديد جمع لابد.

أَرَّ جَحَلٌ لَمْ عَيْنٍ ⑧

**«لم نجعل له عينين»** يبصر بهما المرئيات.

وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ⑨

**«ولسانًا»** يترجم عن ضمائره، **«وشفتين»** يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ وغير ذلك.

**«وانت حل بهذا البلد»** يعني: ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد في غير الحرم. عن شرحبيل: يحرمون أن يقتلوا بها صيدًا ويعضدوا بها شجرة، ويستحلون إخراجك وقتلك. وفيه تثبيت من رسول الله ﷺ وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة، وتعجيب من حالهم في عداوته. أو سلى رسول الله ﷺ بالقسم ببلده على أن الإنسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بان وعده بفتح مكة تميمًا للتسلي والتنفيس عنه. فقال: وانت حل بهذا البلد، يعني: وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له، فأحل ما شاء وحرم ما شاء. قتل ابن خطل وهو متعلق بإستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبي سفيان<sup>(1)</sup>. ثم قال: إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولن تحل لأحد بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار، فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمنشد. فقال العباس: يا رسول الله إلا الإنخر فإنه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا. فقال ﷺ: إلا الإنخر<sup>(2)</sup>.

**فإن قلت:** أين نظير قوله: وانت حل في معنى الاستقبال؟ **قلت:** قوله عز وجل: **«إنك ميت وإنهم ميتون»**<sup>(3)</sup> ومثله واسع في كلام العباد. تقول لمن تعده الإكرام والحياء: أنت مكرم محبو. وهو في كلام الله واسع لأن الأحوال المستقبلية عنده كالحاضرة المشاهدة، وكفكاف دليلاً قاطعاً على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح.

وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ ⑩

**فإن قلت:** ما المراد بوالد وما ولد؟ **قلت:** رسول الله ﷺ ومن ولده. أقسم ببلده الذي هو مسقط رأسه وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل وبمن ولده وبه.

**فإن قلت:** لم نكر؟ **قلت:** للإبهام المستقل بالمدح والتعجب.

**فإن قلت:** هلا قيل ومن ولد؟ **قلت:** فيه ما في قوله: والله أعلم بما وضعت. أي: بأي شيء وضعت، يعني: موضوعاً عجيب الشأن. وقيل: هما آدم وولده. وقيل: كل والد وولد.

لَمَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ⑪

(1) رواه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: قتل الأسير (الحديث رقم: 3044)، ومسلم في كتاب: الحج، باب: جواز دخول مكة بغير إحرام (الحديث رقم: 1357، 450).  
(2) رواه البخاري في كتاب: جزاء الصيد، باب: لا يحل القتال بمكة (الحديث رقم: 1834)، ومسلم في كتاب: الحج، باب: تحريم مكة =  
(3) وصيدها (الحديث رقم: 1353، 445).  
(4) أخرجه الحاكم في المستدرک 2/217. وأحمد في المسند 4/299 والبيهقي في الشعب، باب: في العلق ووجه التقرب إلى الله عز وجل (الحديث رقم: 4335).

وَعَدَيْتَهُ أَنْجَبَيْنِ ﴿١٧﴾.

أَوْ إِطْمَعُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْمَمٍ ﴿١٨﴾ يَبْسَا ذَا مَقْرَبٍ ﴿١٩﴾ أَوْ مَشْكِكَا ذَا مَقْرَبٍ ﴿٢٠﴾.

﴿وهديناه النجيين﴾ أي: طريقي الخير والشر. وقيل: الثديين.

لَا أَقْتَحَمَ الْعُقَبَةَ ﴿٢١﴾.

﴿فلا اقتحم العقبة﴾ يعني: فلم يشكر تلك الأيادي والنعم بالأعمال الصالحة من فك الرقاب وإطعام اليتامى والمساكين، ثم بالإيمان الذي هو أصل كل طاعة وأساس كل خير، بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى: أن الإنفاق على هذا الوجه هو الإنفاق المرضي النافع عند الله لا أن يهلك مالاً لبدأً في الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح صر أصابت حرث قوم الآية.

فإن قلت: فلما تقع لا الداخلة على الماضي إلا مكررة. ونحو قوله: فاي أمر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فما لها لم تكرر في الكلام الأصح! قلت: هي متكررة في المعنى لأن معنى: فلا اقتحم العقبة، فلا فك رقبة ولا أطمع مسكيناً، إلا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك. وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى: فلا اقتحم العقبة ولا آمن. والاقترام، الدخول والمجازة بشدة ومشقة، والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاماً لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس. وعن الحسن: عقبة، والله شديدة مجاهدة الإنسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْوَعْدَةُ ﴿٢٢﴾.

﴿وما أدراك ما الوعد﴾ اعتراض ومعناه: أنك لم تدري كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله.

فَكَ رَقَبَةٍ ﴿٢٣﴾.

وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره. وفي الحديث أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ: بلني على عمل يدخلني الجنة. فقال: تعتق النسمة وتفك الرقبة. قال: أوليسا سواء. قال: لا إعتاقها أن تنفرد بعقبتها، فكها أن تعين في تخليصها من قود أو غرم. والعق والصدقة من أفاضل الأعمال. وعن أبي حنيفة رضي الله عنه أن العتق أفضل من الصدقة. وعند صاحبيه الصدقة أفضل. والآية أدل على قول أبي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة. وعن الشعبي في رجل عنده فضل نفقة أبيضه في ذي قرابة أو تعتق رقبة؟ قال: الرقبة أفضل، لأن النبي ﷺ قال: «من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضواً منه من النار»<sup>(1)</sup>. قرئ: فك رقبة أو إطعام، على هي فك رقبة أو إطعام. وقرئ: فك رقبة أو أطمع على الإبدال من اقتحم العقبة. وقوله:

والمسغبة والمقربة والمترية: مفعلات من سغب إذا جاع وقرب في النسب. يقال: فلان ذو قرابتي ونو مقربتي. وترب: إذا افتقر. ومعناه: التصق بالتراب. وأما أترب فاستغنى. أي: صار ذا مال كالتراب في الكثرة. كما قيل: أترى، وعن النبي ﷺ في قوله: ذا مترية؛ الذي مأواه المزابل<sup>(2)</sup>. ووصف اليوم بذئ مسغبة نحو ما يقول النحويون في قولهم: هم ناصب ذو نصب. وقرأ الحسن: ذا مسغبة نصبه بإطعام، ومعناه: أو إطعام في يوم من الأيام ذا مسغبة.

ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَّصَوْا بِالرِّجْمِ ﴿٢٤﴾.

﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ جاء بثم لتراخي الإيمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت، لأن الإيمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح إلا به. والمرحمة، والرحمة. أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على الإيمان والثبات عليه، أو بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن. وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين، أو بما يؤدي إلى رحمة الله.

أُولَٰئِكَ أَحْسَبُ أَنِّي نَسِيتُهُمُ الْكُفْرَؤُا بِإِيَابِنَا هُمْ أَحْسَبُ أَنَّنِي نَسِيتُهُمُ ﴿٢٥﴾.

الميمنة والمشامة اليمين والشمال، أو اليمين والشؤم. أي: الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهم.

كَلَيْمٍ نَارٍ مُّؤَصَّدَةٍ ﴿٢٦﴾.

قرئ: مؤصدة بالواو والهمزة، من أوصدت الباب وأصدته إذا أطبقته وأغلقته. وعن أبي بكر بن عياش: لنا إمام يهزم مؤصدة فاشتبهى أن أسد أنني إذا سمعته. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ: لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة»<sup>(3)</sup>.

(1) رواه الحاكم في المستدرک 2/211.

(2) نكره ابن مردويه من رواية مجاهد عن ابن عمر وأخرجه الحاكم

في المستدرک عند ابن عباس بنحوه. ابن حجر ص 185.

(3) نكره الثعلبي والواحدى وابن مردويه في تفاسيرهم. الزيلعي 4/